ندوة «الآداب»

«ثرثرة فوق النيل» لنجيب محفوظ

اشترك في هذه الندوة : الدكتورة لطيفة الزيات ، الدكتور عبد القادر القط، الدكتور شكري عياد

تقديم : ابراهيم الصيرفي

ابراهيم الصيرفي : في بداية الندوة نستمع الى تلخيص للرواية من الدكتورة لطيفة الزيات .

لطيفة الزيات : من الصعب تلخيص هذه الرواية بشكل مرضٍ . والسادة الذين قرأوا الرواية يدركون هذه الحقيقة ، لانه لا شيء يحدث في الرواية . عندنا مجموعة من المدمنين يجتمعون في عوامه ، ويتكون هؤلاء من عدة شخصيات منهم انيس زكي المدمن الاعظم او ولي النعم كما يقولون ، ومنهم محام وكاتب قصصي ونافد صحفي ومنهم ليلى زيدان وهي مترجمة بوزارة الخارجية ومنهم سنية كامل وهي ضيفة تتغيب عن العوامة وتتردد عليها وفقا لعلاقتها بزوجها ، اذا انقطعت علاقتها به تأتي الى العوامة ، وتنقطع عنها اذا عادت اليه والى اولادها. تلك هي المجموعة التي نقابلها . والى جانب هذه المجموعة توجد شخصية هامة جدا هي شخصية عم عبده . وعم عبده هو الذي يشرف على العوامة ، وهو شخصية تجمع بين المتناقضات . عملاق ، مصل ، فاتح مصلي ، ويشرف يوميا على الصلاة بانتظام ، والصلاة هي قرة عينه كما يقول لنا . وهو في نفس الوقت رجل قواد ومشرف على امور العوامة التي يجري فيها هذا الادمان ، في المخدرات من جهة ، وفي الجنس من جهة اخرى .

هذا هو الموقف عندما تبدأ الرواية . ثم يجد على الموقف شيء هو دخول سناء الطالبة بكلية الاداب . وهي فتاة صغيرة، يجلبها الى العوامة مورد النساء الى العوامة ، الممثل رجب القاضي ، وهو أحد اشخاص هذا العالم . ولكن التطور الحقيقي يحدث عندما تدخل الى هذه العوامة ضيفة جديدة ، هي سمارة بهجت ، صحفية فاتنة معروفة بالجدية تدخل الى العوامة عن طريق علي السيد ، وهو ناقد فني منحل . تدخل سمارة ويصاحب دخولها الكثير من التوجس والخوف . فما الذي يأتي بفتاة بهذه الجدية الى هذا العالم ؟ . وبعد هذا تتالى الاحداث . يكون وجود سمارة بهجت اشبه بنسمة هواء تهب على هذا العالم الميت ، ويحدث نتيجة لهذا الدخول سلسلة من التغيرات . انيس ينجذب اليها، وسنقول في التحليل لماذا فعل هذا . ورجب القاضي ذئب النساء ، يحاول بالطبع اقتناصها وهي وحيدة تواجه هذا العالم وتعايشه ولكن لا تدمن بل لا تشترك في عملية الادمان . وتجري بينها وبينهم مناقشات وبالتدريج يتضح انها تريد ان تكتب مسرحيه ، وان هذا هو هدفها الحقيقي من الحياة في هذه الفترة ، وانها تستخدم هؤلاء الناس كمادة لهذه المسرحية ، هؤلاء الناس العبثيين ، كما نرى ، والذين يتمسكون بالعبث وبالموت والفناء . وهي تمثل القطب الاخر المناقض لهم وهو قطب الجدية والايمان وارادة الحياة . ويتطور الموقف فيهجر رجب القاضي سناء التي تختفي من العوامة فترة لتعود بصحبة رجل اخر ثم تختفي . والخلاصة انه بدخول سمارة يحصل تطور في المجموعة. تطور غير ملموس يعقبه خروج المجموعة في احدى الليالي لاستنشاق الهواء ، وتلك عملية لم تحدث أبدا في تاريخ العوامة ، لانهم لا يخرجون ابدا كمجموعة الى العالم . يخرجون في سيارة رجب القاضي ، وفي الطريق تقع حادثة خطيرة جدا اذ صدم رجب القاضي حين العودة ، وهو في اندفاعه واستهتاره ، رجلا فقتله . وتقف السيارة وتطلب سمارة منهم أن يتوقفوا جميعا لانقاذ الرجل اذا أمكن انقاذه . ولكن المجموعة تصر على أن تستمر وتهرب من الجريمة التي اركبتها وتعود الى مكانها في العوامة . ولكن تحدث بالطبع بعد عودتها سلسلة من الازمات . فتلاحقهم الجريمة وتقع بينهم اشتباكات سيئة جدا .

بعد ذلك تشعر سمارة بالذنب الشديد جدا لانها تخلت عما تعتقد أنه واجب ويتعذب أنيس في نفس الوقت عذابا شديدا جدا ، لان كل شيء يهون ، كما يقول ، الا جريمة القتل . وينتهي الامر بأن يثب أنيس على رجب القاضي ويشتبك معه اشتباكا شديدا . ويرمون بالجوزة وتتفرق الجماعة ، ويبقى أنيس وسمارة في نهاية الرواية . يبقيان بعد أن حدث انقلاب في الوضع ، فقد انهزمت سمارة تحت تأثير عاطفتها لرجب ، وقبلت ألا تبلغ عن الجريمة ، وهم أنيس أن يبلغ عن الجريمة ، وخرج رجب ، بعد اشتباكه العنيف مع أنيس وهو مصمم على أن يكون هو المبلغ عن الجريمة .

وهنا يتركنا المؤلف مع أنيس وسمارة القطبان المختلفان ، في منافشة قصيرة . هي تدرك أنها انهزمت الى حد ما ، وان كانت مصممة على أن تستمر في طريق الجدية الذي اختارته لنفسها . فهي رغم اتفاقها مع أنيس على ان الناس ينقسمون الى مجموعتين ، مجموعة الصاعدين ومجموعة الهابطين ، تقول أن من الهابطين من تجاوز نفسه أو حتى من أهلكها . أي أن الانسان اذا كان في طبقة اجتماعية هابطة فان عليه أن يرضى بذلك الوضع ، ثم يكون عليه بعد ذلك أن يرتفع مع مد الحياة المرتفع من حوله . أما أنيس فبعد أن قام بهذا الدور البطولي في التصميم على التبليغ عن الجريمة ، فيعود الى احتساء فنجال القهوة المعهود، ويقول في النهاية ان أصل المأساة هو الوجود ذاته . وقد حاولت تلخيص الرواية ، وأرجو أن أكون قد نجحت الى حد ما ، لان من الصعب بل من المستحيل تلخيص مثل هذا العمل .

د. عبد القادر القط : نفرض الرواية ، بالصورة التي كتبها بها الاستاذ نجيب محفوظ ، على القارىء سؤالا ، وهي بالفعل قد أثارته في نفوس كثير من القراء ، هو : هل الرواية شكل جديد ؟ على الاقل في الرواية العربية ، لان القارىء يواجه فيها بالفعل بأشياء ربما لم تكن موجودة في بناء الرواية العربية . ليس في الرواية كما قالت الدكتورة لطيفة الزيات ، حادث متطور أو شخصيات نامية . وانما يدور الجو دائما في دائرة مغلقة لا يحدث فيها شيء تماما ، وان كانت ملأى بالثرثرة كما يوحي بذلك عنوان الرواية . أنا شخصيا لا أعتقد أنها شيء جديد في تكنيك الرواية العربية ، لانها واحدة من الروايات الاخيرة التي كتبها الاستاذ نجيب محفوظ بطريقة تعبيرية ، يعبر فيها عن فكرة، عن موقف ، عن بعض الحالات النفسية الخاصة . وهذه بالطبع طريقة مشروعة في التأليف ويمكن أن تكون ناجحة ، وقد نجحت بالفعل في روايات الاستاذ نجيب محفوظ الاخيرة وقصصه القصيرة ، التي كتبت بعد الثلاثية . ومما يدفعنا ، أيضا ، الى رفض أن يكون هذا الشكل جديدا هو ان الخروج على المألوف في الرواية قد نبع في الحقيقة، لا من تكنيك جديد ، ولكن من طبيعة الشخصيات وطبيعة الموقف. فالشخصيات مدمنة للمخدرات ، فمن الطبيعي اذن أن تتحدث حديثا غير منطقي أو غير مفهوم . ومن الطبيعي أيضا أن تكون معزولة عن الحياة عزلة لا تدفع شخصياتها الى النمو ، بحكم انقطاعها أو انقطاع صلتها الاجتماعية

بالناس . وهذا بالطبع لا يعني أن ذلك عيب في الرواية كما قلت، انما هو محاولة لتحديد وضع الرواية بالنسبة لفن الاستاذ نجيب محفوظ خاصة ، والرواية العربية بوجه عام .

توحي الرواية بجوها كله ، بان الحياة تدور في دائرة مغلقة ، شانها شان الاكوان التي تدور دائما في دورات متتابعة . واذا كانت جلسات هذه الجماعة تتكرر بنفس الطريقة وبنفس الترتيب في كل ليلة ، فان من الطبيعي ايضا ان تتشابه شخصيات هذه الجماعة رغم الفروق الاساسية فيما بينها ، فان هذه الاختلافات تختفي في جو المخدرات الذي يفرض عليهم طريقة غريبة في الكلام وفي السلوك . ولذلك خيل الي ان المذكرة التي عثر عليها انيس زكي في حقيبة سمارة وفيها مشروع المسرحية التي تنوي سمارة ان تكتبها ، والتي جاءت الى العوامة لكي تدرس هذه الشخصيات حتى تنتفع بها في مسرحيتها، كان ذلك راجعا الى احساس المؤلف باختفاء الفروق بين هذه الشخصيات، ومحاولة منه لبيان بعض هذه الفوارق الاساسية التي اختفت من الجو المتشابه المتكرر الذي تعيش فيه هذه الجماعة . ثم حاول المؤلف أن يخص انيس بطابع خاص لينتهي بالرواية الى نهايتها التي انتهت اليها عن طريق موقف انيس زكي بالذات ، فهو قد ربطه بالتاريخ . انيس مغرم بالتاريخ يعود دائما في شطحاته حين يكون تحت تاثير المخدر ، الى التاريخ ، ويتفوه بعبارات طريفة في بعضها ربط مباشر بين الماضي واللحظة الحاضرة ، ويصعب في بعضها الربط بين الماضي والحاضر ، ولكن ارتباطه بهذا الماضي وصل به في الخاتمة الى قول معقول هو الذي اوردته الدكتور لطيفة الزيات في تلخيصها ، حين قال ما يعني ان اصل البلية عند هذه الجماعة هو الوجود . لانه يقول من خلال كلام تقطعه سمارة ببعض العبارات :

« أصل المتاعب مهارة قرد !.. تعلم كيف يسير على قدميه فحرر يديه . وهبط من جنة القرود فوق الاشجار الى ارض الغابة . وقالوا له عد الى الاشجار والا اطبقت عليك الوحوش . فقبض على غصن شجرة بيد وعلى حجر بيد وتقدم وهو يمد بصره الى طريق لا نهاية له ».

هذه في الحقيقة نهاية الرواية ، والفكرة عند انيس ، كما عبرت عنها ايضا الدكتورة لطيفة الزيات . الجريمة التي حدثت .. قتل الشخص بالسيارة تدل في رايي ، على ان هذه الجماعة ، وان بدت منفصلة تماما عن المجتمع لانها لا تمارس حياته ، ما زالت مرتبطة ارتباطا متينا بهذا المجتمع حين عدت على قيمة اخلاقية من قيم المجتمع الذي تعيش فيه ، فثقلت هذه الجريمة على ضمائرها كما تثقل على ضمير اي شخص عادي ، واضطرتها الى التفرقة فيما بعد . اما الموقف الغريب الذي وقفه انيس ، فهو في الحقيقة معقد او مركب ، فقد كان هو الوحيد الذي اصر على ابلاغ البوليس . وكان هذا اخر من ينتظر منه ذلك التعرف . هو مزيج من الغيرة ومن الغضب وقول ما يجب قوله كما اخبر سمارة « فوقع زلزال لا ندري شيئا عن عواقبه وحتى انت انهزمت » . هذا الموقف المركب لا ادري بالضبط كيف يبرره الانسان من شخصية منهارة تماما كانيس زكي الذي كان همه الوحيد أن يجلس بجلبابه وسط هذه الجماعة تائها في شطحاته تحت سلطان المخدرات ، يقدم لهم الجوزة . لكن ربما كانت ثقافته التي كونها بطريقة آلية حين كان يرجع الى كتب التاريخ ويجد فيها غذاء لتلك الشطحات ، ربما كانت سببا في اختيار المؤلف له لكي يعبر عن هذا الموقف الجاد ، او ربما كان لبعض الزملاء رأي في هذا ، ونحن لم نسمع بعد صوت الدكتور شكري عياد .

د. شكري عياد : انا متفق مع الدكتور عبد القادر القط في كثير مما قاله ، وان كنت اميل الى ربط هذه الرواية ، على الاقل من احدى ناحيتيها ، بالاستاذ نجيب محفوظ الواقعي ، كما عرفناه في روايته حتى الثلاثية ، ثم بعد ذلك وسط رواياته عن الشكل الفلسفي ، التي كتبها بعد الثلاثية . رأينا « السمان والخريف » وفيها ، في تقديري ، نفس العلاج لموضوعات واجواء اوتيمات اجتماعية ، ان صح التعبير ، وهنا ايضا ، ارى الفكرة او الموضوع الاجتماعي موجودا ، ولعله كان يتنازعه من ناحية ومن الناحية الثانية ذلك التصور الفلسفي الاتي من تعاطفه مع شخصية انيس . انيس الموظف الصغير ، ولكن المثقف الكبير المثقف لغير غرض عملي من الثقافة ، وهو بهذا القياس مثقف اصيل . وهناك ناحية ، لعل القارىء بلا شك يشعر بتعاطف الكاتب مع انيس وانه يضعه كمثل للبحث عن علة الوجود ، يبحث عنها في التاريخ ، ثم ينتهي الى النهاية التي سمعنا تلخيصها لخبرته بالانسان من خلال الحياة ومن خلال الكتب ، خبرة يبدو انها متشائمة ، لكن ربما كان فيها قبول للمسئولية .. مسئولية جدنا القرد الذي خطر له أن يقف على قدميه ويرفع يديه .. اي انه يخيل الى ان فيها اقتحام المسئولية ، مسئولية الحياة وتقبلها اكثر مما فيها من الضجر والياس . فهو بدأ متفلسفا تفلسف انعزال عن الكون ، وناظرا له من بعيد ، وبالطبع فان النقطة التي يستطيع الانسان أن ينظر اليها من بعيد وهو مستريح هي نقطة التاريخ. لعل هذا يفسر رجوعه المستمر للتاريخ ونظرته للحاضر من خلال شخصيات واحداث تاريخية . هذا هو التعاطف والجانب الفلسفي من شخصية انيس . ولكن اقول انه نموذج واقعي الى جانب هذا الاحساس . اما بقية الشخصيات ، احمد نصر وليلى زيدان وسنية كامل وعلي السيد ... الخ فهي في جانب كبير منها مجرد نماذج في مجتمعنا . انما لا نستطيع أن نقول ان انيس نموذج اجتماعي ، وانما هو تركيز لصفة اجتماعية هي ميلنا كشرقيين الى ان نعيش داخل وجودنا الشخصي ، اكثر مما نتعامل مع الناس من الخارج . واظن ان هذه صفة قديمة لم تتغير او لم تنقلب تماما من الشخصية الشرقية والعربية بشكل اخص والمصرية بشكل اشد خصوصية . نحن في حياتنا الداخلية ، سواء كنا في حياة الاسرة او في حياة الفرد الداخلية نشعر بوجودنا الحقيقي اكثر مما نشعر بالوجود الخارجي . فهذا الانسان هو نموذج لذلك الانغلاق ، وكل واحد من شخصيات الرواية منغلق بنفس الطريقة ، تدل نظرتهم للاحداث ومناقشتهم لها على هذا الانغلاق . وانا متفق مع الدكتور عبد القادر القط في ان حادث القتل الذي تم في اخر الرواية قد اعاد القوم الى شعورهم بانفسهم ككائنات اجتماعية ، وانه نبه هذا النموذج الغارق في حياته الداخلية ، وهو انيس ، الى هذه الكلمة او هذا التصور الاخير الذي نستطيع ان نقول انه يلتقي فيه بوجوده ككائن متفلسف .. بوجوده ككائن يقوم بدوره في المجتمع ، وهو تذكر او تمثل قصة الانسانية بهذا الفرد الذي وقف على رجليه وسار في طريقه الطويل .

د. لطيفة الزيات : اعتقد أن في هذه الرواية جديدا على عكس ما قال به الدكتور عبد القادر القط .

د. عبد القادر القط : في قيمتها الفنية ؟

د. لطيفة الزيات : في فنية الرواية. الاستاذ نجيب محفوظ يحاول هنا محاولة جديدة لم يحاولها في اي قصة من قصصه السابقة ، او حاولها بطريقة ليست بهذا التركيز . وهذه المحاولة عن طريق اهتمام انيس بالتاريخ ، واكساب تجربة انيس ما هو أكبر من تجربته بحيث تصبح تلك التجربة ، عن طريق المستويات التي يضيفها القارىء من التاريخ ، تجربة البشرية كلها . فما هي هذه التجربة ؟ انها تجربة الوجود . فالى جانب الخيالات والاوهام التي تحدث لانيس ، توجد امور اخرى تحدث للمفيقين لا للمساطيل وحدهم . فنحن جميعا نشعر بالحزن ازاء الموت وازاء نهايات الاشياء وازاء الملل والرتابة . وهذا جزء لا يتجزأ من تجربة انيس التي يفنيها اكثر من مستوى تاريخي . في الرواية مفاتيح معينة تجعلنا ندرك أن هذه العملية هي عملية الدوار والملل والموت وانعدام المعنى ، مثل قوله « لا حركة البتة في الحقيقة . حركة دائرية حول محور واحد . حركة دائرية تتسلى بالعبث . حركة دائرية ثمرتها الحتمية الدوار . في غيبوبة الدوار تختفي جميع الاشياء الثمينة . من بين هذه الاشياء الطب والعلم والقانون . والاهل المنسيون في القرية الطيبة . والزوجة والابنة الصغيرة تحت غشاء الارض . وكلمات مشتعلة بالحماس دفنت تحت ركام من الثلج » . في الرواية

ـ التتمة على الصفحة ٦٧ ـ

ندوة الاداب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

أمور كثيرة لا احب أن اوردها . من هذه المستويات التي يحاول اضفاءها أن سناء معاصرة لحواء ، وأن ليلى كانت في عصر خوفو ترعى الغنم في شبه جزيرة سيناء وكان جد رجب يسعى في الغابات يدفن في أحضان النساء مخاوفه من الظلام والمجهول والموت ، وأنيس عبد لهارون الرشيد وابن ادم وحواء وبرمثيوس مسطولا . الانسان الذي كان في بداية حياته انسانا ثوريا ، نعرف أنه أوشك أن يقتل في مظاهرة ثورية ، الانسان الذي بدأ وكله تطلعات ، وانتهى هذه النهاية المحزنة المؤسية . أما سمارة فأنيس يتساءل أهي ملكة أم من الرعية . ويقول لنا ان من الجائز أن تكون كليوباطرة أو المرأة التي تبيع المسل في درب الجماميز ، تم ينضح لنا أنها كليوباطرة عندما ينتهي من الفصل الذي تظهر فيه كليوباطرة وهي تخرج من البساط المطوي لمقول ليوليوس قيصر في كبرياء : أنا كليوباطرة ملكة مصر . وكما أخطأت كليوباطرة خطأها الناجم عن الضعف أخطأت سمارة حين أقبلت تغزو هذا العالم بزهوها وجديتها وكبريائها ذلك الخطأ التراجيدي ، الحب أو الجنس . فانهزام سمارة ، في اعتقادي جاء نتيجة شعورها بالضعف ازاء رجب القاضي .

ابراهيم الصيرفي : يخيل الي ان هناك تفسيرا اخر وراء هزيمة سمارة .

د. لطيفة الزيات : وهو ؟

ابراهيم الصيرفي : في ظني أن سمارة منذ وضعت قدمها في العوامة كانت مسوقة الى الموت ..

د. عبد القادر القط : لكنها أقبلت لكي ندرسها ..

ابراهيم الصيرفي : العوامة ، كما قلت سيادتك ، جزء من الدورة . وقد دخلتها سمارة بقميص أبيض والقميص الابيض نصف كفن ، حين فارنه أنيس بجلبابه الابيض ... كفنه ...

د. عبد القادر القط : حين ندخل في الرموز ...

ابراهيم الصيرفي : رموز نعم . لكن سنتوالى بعدها كثير من الجزئيات الكاشفة لها وأنا أعرف وجهة نظركم عن هذا . اذا لم يكن في الرواية ما يسند الرمز ويلح على اثارته غدا اعتسافا واسفاطا ممن يحاول ان يراه بهذا الشكل . نرى أنيس يقول لها « بدأت الرحلة ... وعيناك جميلتان » فتسأله عن العلاقة بين هذا وذاك فينفي ان هناك علاقة بين شيء واخر ، وكأنما تحس سمارة بتلك العلاقة .. فالرحلة هي الموت .. فسأله « ولا حتى بين طلقة رصاصة وموت انسان ؟ ... »

د. لطيفة الزيات : استطيع أن أفسرها لك بأنها حيوان ثديي ..

ابراهيم الصيرفي : هي كذلك بالفعل .. او هذا ما ستئول اليه . الهاموش حيوان ثديي وهي حيوان ثديي . فالعلاقة بين الرحلة وعينيها هي العلاقة بين طلقة رصاصة وموت انسان . ثم مقارنتها بكليوباطرة ونحن نعرف مصيرها ... المشكلة هنا انهم جميعا كانوا يواجهون الحياة وقد فقدوا أهم سلاح في مواجهتها ، وهو الدين ، القاعدة التي تتخذ منها الحياة منطلقها اذ تخفي وراءها الخوف من الليل والمجهول والظلام والموت ..

د. لطيفة الزيات : أستطيع أن أرد عليك في كل ما ذكرت فأقول لك ان الانسان الجاد الذي لا يأخذ في حسابه وجود الخير والشر في مجتمعه، والموت والحياة جنبا الى جنب ليس بالجاد . وأن دخول سمارة العوامة ، وخصوصا اذا تذكرنا أنها امتنعت عن المخدرات طيلة وجودها في العوامة ، لا يعني بحال أنها دخلت بقدمها الى الموت . ولكني لا أريد أن أستطرد في تفاصيل . أقول لك بعبارة صريحة انها كانت تخرج مع رجب ولا توجد فتاة جادة تخرج مع انسان الا اذا كانت مرتبطة وايـاه بعاطفة ، وأنهما كانا يتبادلان الكلمات . كانت تحبه ، لكن دون اقتناع به كانسان لانها انسانة جادة .

بعد ذلك أريد أن أقول ان هذا عالم أنيس . لكن اذا رأينا عالم أنيس وحده دون العوالم الاخرى التي خلقها المؤلف ، فاننا نرى رواية قاصرة ، وتصبح الرواية بالفعل عن جماعة من المساطيل فحسب . والكاتب على وعي كبير بهذا العالم ، انهم يجتمعون على ألموت كما قال ابراهيم الصيرفي والكاتب واع جدا انه عالم مجرد ، عالم مفصول عن الحياة ، حتى أنيس رغباته مجردة ، مثلا حين يقول عن سمارة « ألا تعلم أني على موعد مع فكرة مجردة ذات طابع جنسي » ، حتى رغباته في الحياة أصبحت أفكارا مجردة ، أي انه فقد كل علاقة له بالحياة . هذا العالم يعارضه عالم سمارة التي تدخل كنسمة الهواء من الخارج فتهد هذا العش نهائيا . مجيء سمارة وخروج هؤلاء الناس الى العالم الخارجي وما تبع هذا الخروج من أحداث ، هد هذا العالم تماما ، حتى ألفوا بالجوزة في النيل وحاول بعضهم قتل البعض الاخر ، ليس هذا فحسب والكاتب واع بهذه الحقيقة كل الوعي ، حتى انه في صفحة ٥٤ يذكرنا بهذه العملية . خرج أنيس بالمجمرة حين علم بمجيء سمارة ، يعرضها لتيار الهواء وراح ينتظر . مجرد تعريضها للهواء . « واتسعت المراكز المحترقة في شتى القطع حتى استحال سواد الفحم حمرة متوهجة هشة عميقة ناعمة . اندلعت عشرات من الالسنة الصغيرة الموسومة بالشفق، وانتشرت ثم تلاقت اجنحتها مكونة موجة رافصة نقية شفافة مكللة الاطراف بزرقة خيالية، ثم ازت فتطاير من جوفها سرب من عناقيد الشرر ..الخ».

يذكر هذا في مجال دخول سمارة الى العوامة ، وهذا ما سوف يحدث تماما . المجلس كله ينفض ، وبتشابك الجميع في صراع وحشي . وتندلع ألسنة النار لمجرد نسمة هواء من العالم المتفاعل الحي هبت عليهم .

د. عبد القادر القط : لكن يا دكتورة لطيفة لا دخل لسمارة فيما حدث .

د. لطيفة الزيات : الى حد كبير سمارة ...

د. عبد القادر القط : لا هي اقترحت الخروج ، ولا هي التي كانت تقود العربة .

ابراهيم الصيرفي : اقترحت عليهم الخروج في بداية الرواية .

د. عبد القادر القط : ولم يخرجوا ...

ابراهيم الصيرفي : ورحلتها السابقة مباشرة على تلك الرحلة، اقتراح غير مباشر بها .

د. عبد القادر القط : بهذه التأويلات الكثيرة التي تدخلنا فيها، يتحتم على الانسان أن يمسك بالقلم ويقف عند كل سطر يؤوله .. لان سمارة كانت في رحلة فلا بد أن يخرجوا ...

ابراهيم الصيرفي : لا .. هي كلمتهم عن رحلتها السابقة مباشرة على تلك الرحلة يا دكتور عبد القادر . وقالت لهم لو خرجتم لجددتم أنفسكم ..

د. شكري عياد : نحن ولا شك نريد أن ننصف الرواية بقدر ما نستطيع وعلى قدر ما لدينا من امكانيات للفهم . فهل التكنيك المتبع في ترجمة الاشياء الى مدلولات معنوية هو أليق الاشياء بتفسير هذه الرواية ؟ هل ترجمة المحسوسات مثل المجمرة بشيء معنوي هو دخول حياة جديدة على الحياة الراكدة والتهابها . هل هذا يازمنا باتباع هذا المنهج في كل جزئية ؟

د. لطيفة الزيات : لا .. لا يلزمنا .

د. شكري عياد : وهذا هو الاسلوب الذي كتبت به الرواية .

د. عبد القادر القط : قال الدكتور شكري عياد ان هذه النماذج واقعية تمثل ميلنا الطبيعي مع الحياة مع أنفسنا أكثر من الحياة مع الخارج . وقالت الدكتور لطيفة الزيات ان هذه تجربة بشرية . كذلك قال الدكتور شكري ان أنيس مثقف ، وفي الحق لو أن هذه النماذج كانت طبيعية لكان من الممكن أن نعايشها أكثر مما عايشناها . هذه النماذج ، كما قلت ، نماذج متشابهة ضاعت سماتها النفسية التي كان من الممكن ، من خلال اللاوعي الذي يستيقظ في ظل المخدرات ، أن تنكشف أشياء من أحوالها الداخلية أكثر مما تكشفت . وقد اعتمد

الاستاذ نجيب محفوظ ، في الحقيقة، على تكرار المشهد أكثر مما ينبغي. اعتمد على تكرار المجلس كثيرا . فعبارات أنيس اللطيفة عن التاريخ والماضي والحاضر وبعض العبارات السريعة المتبادلة بين الشخصيات هي كل ما اعتمد عليه الاستاذ نجيب محفوظ . لكن يخيل الي أننا كنا بحاجة الى أن يفلسف الموضوع وأن تدرس نماذج انسانية ، وقد كان ذلك ميسورا من خلال سلطان المخدرات ، أن يتكلم الشخص كلامه بين دخائل نفسه وتجارب ماضيه . صحيح أن أنيس أخبرنا عن مأساة وقعت في حياته ، أن امرأته وابنته ماتتا ، لكننا لم نعرف بالضبط ان كان هذا وراء أسر المخدرات له أم لا . وهل هو صحيح مثقف ، أم كان يقرأ كما قلت في بداية الندوة بطريقة آلية . هل هو رجل يقرأ ليثقف نفسه ، أم هو يقرأ في ساعة الصحو لانه منعزل عن الحياة وهذه سلواه ؟

د. شكري عياد : اتصور انه يقرأ لكي يجيب عن اسئلة اضخم من ان يجاب عليها بطريقة يمكن أن يتصورها أنيس . بهذا ليس له الا ان يلجأ الى الكتب . لهذا اتصور انه مثقف حقيقي . ولهذا ارى انه اذا كان للرواية بعدان ، بعد واقعي واخر فلسفي ، فانهما يلتقيان عنده مع خلفية البعد الفلسفي بشكل حاد . اما ان هناك ...

د. عبد القادر القط : لكن يا دكتور شكري والله حكاية البعد الفلسفي هذه كثيرة جدا على أنيس .

ابراهيم الصيرفي : ليس ضرورة ان يكون ذلك بالمعنى المنهجي.. النظري .

د. لطيفة الزيات : لا .. ليست النظرية .. لا .. لا .. انيس عنده نظرية وجودية .

د. شكري عياد : انسان عادي يمكن ان تشغله مشكلة ميتافيزيقية.

ابراهيم الصيرفي : هو يعنيه دائما ان يتساءل : من اين ، والى اين ، ما مغزى حياتنا ؟

د. عبد القادر القط : نعم . كل انسان تدور في ذهنه اسئلة من هذا القبيل . ولكن الفلسفة تقاس بالمظهر الذي يأخذه التساؤل ، لا بالتساؤل نفسه . التساؤل موجود في داخل كل فرد ، انما هي الطريقة التي يتساءل بها كل فرد ومدى سعتها أو ضيقها . فكون هذا التساؤل يتخذ صورة عبارات سريعة عابرة عن الماضي والتاريخ أو عن اناس لو كانوا يراقبوننا من فوق لقالوا حياة او لا حياة ، هذه اشياء لا استطيع ان اسميها فلسفية بالمعنى ...

د. لطيفة الزيات : الاديب غير مطالب بالكتابة بهذا الاسلوب .

د. عبد القادر القط : لا .. لا .. لا اقصد نظرية فلسفية بل نظرة فلسفية .

ابراهيم الصيرفي : نستطيع ان نعتبرها هموما انسانية .. هموما كبيرة .

د. لطيفة الزيات : قلت يا دكتور عبد القادر القط وانت تتحدث عن الشخصيات ان انيس زكي كان يستطيع من خلال تخيلاته أن يعطينا اعماقا اكثر من ..

د. عبد القادر القط : نعم ..

د. لطيفة الزيات : اعتقد ان الكاتب لم يكن منصرفا الى تقديم شيء من هذا ..

د. عبد القادر القط : واعماقا خاصة بالموقف لا بكل شخصية...

د. لطيفة الزيات : كان هم الكاتب ، في اعتقادي ، بين طرفين متباعدين متناقضين ، بينهما حد في الوسط . الطرف الاول هو انيس والثاني سمارة اما الحد الاوسط فهم عبده . قبل عم عبده جميع متناقضات الحياة وتعايش معها . اما الطرفان انيس وسمارة فرافضان للحياة متناقضان . انيس رافض كلية قبول فكرة لحياة تنطوي على العدم . وسارة رافضة نهائيا فكرة وجود اناس بهذا الشكل ، غير جادين . والكاتب يريد ان يقول بالانقلاب الذي تم اخر الرواية ، انه لا يوجد في نهاية الامر شيء اسود وشيء ابيض وان الميت قد ينطوي على امكانيات للحياة ، والحق قد ينطوي على امكانيات للموت .

ابراهيم الصيرفي : الا يمكن ان تحتوي الرواية اشياء ، الى جانب انيس وسمارة وعم عبده ؟

د. عبد القادر القط : والله انا في الحقيقة اعترض على هذا النوع من النقد التأويلي ان صح التعبير ، وهو منهج خاطىء وخطير ، لدرجة اني قرأت اليوم في « الجمهورية » واحدا يعلق على الرواية فيقول ان عم عبده رمز للشعب المصري .

د. لطيفة الزيات : لم اقل رمزا .

د. عبد القادر القط : لا .. ارأيت الى اين يؤدي المنهج ؟

د. لطيفة الزيات : لا .. لم اقل .

د. عبد القادر القط : انما اتكلم عن طبيعة المنهج حين التطبيق . هل الكاتب يكتب للناقد القادر على التأويل ام يكتب لقارىء ذكي لديه قدر من الثقافة يستطيع به ان ينفذ الى ما وراء الظاهر، على ان يعني هذا الظاهر شيئا عنده . الاستاذ نجيب محفوظ لا يكتب لنا كنقاد نحاول ان نقول ان المجرة حين خرجت كان شكلها كذا وحين دخلت.. وانما يكتب لقارىء ذكي نفترض فيه أنه ذكي ، لكن ليست لديه هذه القدرة على التأويل في كل صفحة وكل سطر . اعتقد ان الاستاذ نجيب محفوظ يتكلم عن حالة نفسية وعن معنى خاص وراءه ، معنى كلي . اما ان افتت العمل بهذا الشكل ، هذا شيء خطير ولم يعنه الكاتب .

ابراهيم الصيرفي : النقد احيانا رؤيا خاصة للعمل الفني .

د. لطيفة الزيات : انا معترضة على كلمة رؤيا خاصة ، كما اعترض على كلام الدكتور عبد القادر القط . لماذا ؟ انا متفقة معك على ان الكاتب يكتب للقارىء لا للنقاد .

د. عبد القادر القط : وانا احتاط واقول للقارىء الذكي .

د. لطيفة الزيات : للقارىء الذكي . لكن مهمتنا الاساسية كنقاد ان نوصل العمل للقارىء . وهذه في اعتقادي ، مهمة النقاد . ان نقرأ العمل قراءة تحليلية ، والمنهج الذي اعتمدت عليه ليس تأويليا كما قلت، وانما هو تحليلي . وانا مستعدة اذا سمح الوقت ان ادعم هذا باقوال واجزاء واقتباسات من الرواية . واما رؤية الناقد فتلك رؤية له وحده، لكن اذا حاولت ان اساعد القارىء فلا اخلق عملا جديدا ، بل امسك بالعمل الذي امامي .

د. عبد القادر القط : ما رأي الدكتور شكري في هذا ؟

ابراهيم الصيرفي : بهذه الطريقة ندخل في مناقشة مناهج النقد والعمل نفسه جدير بالكلام .

د. عبد القادر القط : الجانب المنهجي معناه اما ان يؤخذ الكلام الذي قلناه مأخذ التسليم والتصديق أو الشك . وهذا كله قائم على موقف المستمع من منهجنا في النقد ، هو كلام هام في الموضوع .

د. شكري عياد : ارى اننا متفقون على اسقاط الرموز . فترجمة الشخصيات او الاحداث برموز لا يمكن ان يكون الكاتب قد فكر فيها لان الاستاذ نجيب محفوظ كاتب حقيقي يقول الشيء الحقيقي . اي لا يضع عم عبده رمزا للشعب المصري .

د. لطيفة الزيات : انا لم اقل عم عبده شعب مصر ..

د. شكري عياد : هذا بالنسبة للاستشهاد الذي ذكره الدكتور عبد القادر القط . يبقى ان الشخصيات والاشياء يمكن ان تفهم على

في البحرين

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

عدة مستويات ، وان انظر فيها الى تقابلات وعلاقات لا تبدو من القراءة الاولى .

ابراهيم الصيرفي : معنى ذلك اننا قد نجد للجوزة ، الجوزة في العوامة ، شخصية ، وان نجد للعوامة دلالات ؟

د. عبد القادر القط : انا معترض على الدرجة التي يمكن ان يصل اليها هذا المنهج في التأويل .

ابراهيم الصيرفي : لا .. بلا تعسف .

د. لطيفة الزيات : انا متفقة مع الدكتور القط في هذه النقطة . ان تحويل الرمز الى مدلول ، اذا كان من السهولة بحيث يحول الى مدلول ، يعني اي شيء يشير اشارة مباشرة الى الخارج ، فانه لا يكون رمزا . ولهذا ينبغي الا نسرف في عملية الرموز هذه . لكن هذا لا يمنعنا من ان نحلل تركيب الرواية ، وعلاقة اقطاب الرواية بعضهم ببعض ، والصراع الدائر بينهم ونتيجة هذا الصراع، الى اخر هذه الامور.

د. شكري عياد : دون ان نقول رموزا ، العوامة القائمة على الماء لها دون اللجوء الى الرموز دلالتها . وعم عبده له دلالات .

د. لطيفة الزيات : دلالة عم عبده عندي تختلف عن دلالتها عندك ، ولهذا لا اقول الا ما استطيع اثباته من النص فحسب . لذلك عندما عرضت لعم عبده قلت انه يجمع بين المتناقضات ، وهذا شيء نتفق عليه جميعا . قواد وقرة عينه الصلاة ، في نفس الوقت .

د. شكري عياد : هذه هي الحياة ؟

د. لطيفة الزيات : لا اقول ماذا يعنيه ذلك . هو فقط من يقبل الحياة بكل خيرها وبكل شرها .

ابراهيم الصيرفي : الم يكن للدين والعلم تأثير في هذه الرواية؟

د. شكري عياد : هذه افكار من غير شك بتدخل .

ابراهيم الصيرفي : لا .. ليست مجرد افكار ، انما محاور ، ومحاور هامة جدا ، ربما بنيت عليها ابعاد كبيرة في الرواية . اعني الم يكن العلم من اسباب المأساة التي وقع فيها انيس ، ثم سمارة ؟ العلم بغير دين . فهو حين دخل في تفكيره العلمي ، والرواية تقول انه يلاحظ الاشياء ويقول للشجرة العجوز انت معمرة لانك بلا عقل . ثم تتضح مشكلة ان العلم لا يعنى بالسؤال من اين والى اين وما مغزى الحياة.. ومعنى ذلك ان العلم لا يعرض الا لجزئيات الوجود الراهنة ، مشكلات الحياة اليومية . وان انيس من خلال رؤيته التي قدمها له العلم عن الزمن الكوني ببلايين سنينه الضوئية قد رأى التاريخ فاذا به في عينه مجرد ربع ساعة كونية .. او لحظة ..

د. عبد القادر القط : اعتقد ان مثل هذه المشاكل لا يمكن اعتبارها محاور . محور عن العلم ومحور عن الدين ومحور عن الاخلاق . هذه جميعا في رأيي ، تعبر عن معنى كلي واحساسي عام وهذه كلها روافد تغذي هذا الاحساس وهذا المعنى الكلي . انا لا احب ان اقف عند كل جزئية انما افتح نفسي لكل جزئية واحاسب نفسي اخر الامر عن الحالة التي وضعتني فيها الرواية ، اي افكار زرعت في نفسي بالنسبة للحياة والكون . وهذا بالطبع لا يمنعني من ان اقف بعض المواقف المتانية عند بعض الرموز وبعض العبارات ، ولكن لا اعملها بطريقة منهجية بهذا الشكل . والا لكان المؤلف مهندسا .

د. لطيفة الزيات : اريد ان اقول كلمة صغيرة . ان فقدان الايمان بأي شيء ، لا بالدين وحده هو سبب من اسباب مأساة انيس او مأساة الوجود في عقل انيس . وهذا بالطبع هو فقدان الايمان تحت فلسفة العبث كلها في العالم كله ، لا عند انيس وحده . واريد ان اقول انه لا مانع من ان يكون الكاتب عبقريا واصيلا ومهندسا في نفس الوقت.

د. عبد القادر القط : ليس الى هذا الحد . لا ...

د. لطيفة الزيات : .. فالفن موهبة وحرفة ...

د. عبد القادر القط : لا .. فحين تصل الحرفية الى هذا الحد الذي يجعل الانسان مطالبا بان يقف من كل صفحة يؤول ويفك عبارات ورموزا ..

د. لطيفة الزيات : ليس الكاتب .. بل الناقد .

د. عبد القادر القط : والناقد ايضا ، نفرض على الناقد ان يقف في كل سطر وصفحة . يصبح مهندسا اكثر من اللازم . وانا لا اقول ان الاستاذ نجيب محفوظ مهندس في هذه الرواية . ولذلك احاط ولا اقول كما يقول ابراهيم الصيرفي ان كل ربط بين الحاضر والتاريخ مقصود وممكن ان يؤول . انما اقول ان بعض هذه العبارات ممكن ان يؤول وبعضها كلام مسطول فارغ . والاستاذ نجيب محفوظ مطالب بان يقدم لي الصورة الحقيقية لمسطول .

د. لطيفة الزيات : بالطبع .

د. عبد القادر القط : بما فيه من كلام منطقي قابل للتأويل وغير قابل له .

د. لطيفة الزيات : هذا صحيح مائة في المائة .

د. شكري عياد : اعتقد ان علينا ونحن بصدد انهاء الندوة ان نذكر المستمع باننا متفقون على الاقل في ان الشخصيات والمكان والحوادث ذات دلالات ، لا نقول رمزية اطلاقا ، ولا تفصل نفصيلا جزئيا او تترجم حرفا بحرف ، وانما هي دلالات لها وجودها بحق ، ترى الدكتورة لطيفة انها دلالات عن موقف من الحياة بين اقطاب معينة موجودة ، وانا شخصيا ارى انه الى جانب هذه الدلالة الوجودية من ناحية النظرة الى العالم لها لونها الخاص المحلي في هذا الانفلاق على الذات الفردية .

د. عبد القادر القط : انا شخصيا استمتعت بالرواية . قلت انها ليست جديدة على الروايات الخمس او الست التي كتبها الاستاذ نجيب محفوظ بعد الثلاثية . لكن مما لا شك فيه انها كما قالت الدكتورة لطيفة الزيات افق جديد الى حد كبير وانها تفرض على القارىء ان يقرأها بطريقة خاصة ، وانه اذا قرأها بهذه الطريقة فسيستمتع بها كما استمتعت بها .

د. لطيفة الزيات : وانا احب ان اهنىء الاستاذ نجيب محفوظ على هذه الاضافة الجديدة الى الادب العربي . واقول انه ليس مفروضا ان يخرج كل قارىء بكل المستويات التي تحفل بها الرواية . ممكن الا يرى فيها قارىء الا الحكاية السطحية ان يصل قارىء اكثر منه عمقا مستوى ابعد ، هذا هو الساري اليوم في جميع الروايات الحديثة . فرجينيا وولف مثلا كانت تقول في اوائل القرن ان من لم يقرأني للمرة الثانية لم يقرأني ابدا .

في السوق :

الناس والحب

مجموعة قصصية جديدة

تاليف

محمد ابو المعاطي ابو النجا

منشورات دار الاداب